ظاهرة التّقديم والتّأخير في القراءات القرآنية

مقاربة نحويّة دلاليّة

د.عُمَر بوبقار
جامعة قاصدي مرباح ورقلة [الجزائر]

ملخّص:

حين أحسّ ناطق اللغة، أنّ اللغة برصيدها المفرداتي، ملكية خاصّة به، أخذ يتصرّف في عناصرها تقديما وتأخيرا، في إطار "قانون" ترتيب وإعادة ترتيب العناصر اللسانية، ضمن سلاسل الكلام، ولم يكن ذلك ليحدث اعتباطا أو من غير أن يصاحبه اختلاف في الوظائف النحوية لتلك العناصر، أو دون حدوث تغيّر في الدلالة المعنوية للكلام المنجز، وقد جاءت هذه الورقة البحثية لتتناول ظاهرة التقديم والتأخير، في بعض القراءات القرآنية الشاذة.

الكلمات المفاتيح: التقديم، التأخير، قراءات قرآنية، مقاربة نحوية، مقاربة دلالية.

Résumé :

Lorsque le lecteur a senti que la langue avec toute sa richesse lui appartient, une conviction chez lui est devenue une pratique courante, elle concerne la pratique de l'anaphore et la cataphore .Cette pratique s'inscrit dans le cadre 'le principe' de l'organisation et la réorganisation des éléments linguistiques .Cette tendance qui n'est pas pratiquée aveuglement n'est pas restée sans répercussions sur les fonctions syntaxiques de ces éléments, ou répercussions sur la dimension sémantique des énoncés. Cet article se fixe s'articule autour des dimensions de l'anaphore et la cataphore dans quelques récitations coraniques d'exception.

Mots clés : Anaphore, cataphore, récitations coraniques, approche syntaxique, approche sémantique

إنّ صفة الخطية، التي تميز اللغة، هي التي تجعل العناصر اللسانية، تتابع في أثناء ممارسة الكلام، وفق ترتيب معين، إن على مستوى الكلمة؛ فتتابع أصواتها، و إن على مستوى الجملة؛ فتتابع كلماتها، وإن على مستوى الفقرة، فتتابع جملها، و أخيرا:على مستوى النص ككل؛ فتتابع فِقَرُه.

فطبيعة اللغة تمنع إنتاج العناصر اللغوية دفعة واحدة، أضف إلى ذلك عجز جهاز التصويت، عن الوفاء بهذه المَهَمّة، شأنه شأنَ المتلقي، الذي يستوعب الرسالة بطريقة خطية، أي:عنصرا عنصرا وجملة بعد جملة وهكذا.

لا شك أن بنية اللغة وقوانينها، هي التي تجعل الوحدات اللسانية، تتبدى وفق نسق خاص، محتلةً مواقعَها، ولا مجال في هذا للاعتباطية؛ ذلك أنّ أهمية العناصر لا تتأتى من كونها أعضاء ذات بال في أثناء العملية التواصلية، بل أهميتها تكمن في ما يربط بينها من وشائج وصلات؛ إذ ليست العبرة بالعنصر، بل بعلاقته بالعناصر الأخرى، سواء أكانت سابقةً له، أم لاحقةً بعده.

ولما كانتِ القوانين أو العلاقات بهذه الأهمية «فإنّه لا يمكن فهم أيِّ عنصر من عناصرها، دون النظر إلى المكان الذي يشغله داخل النظام ككل»[1].

ونظرا للمرونة التي تطبع وحدات اللسان، فإنّ ناطق اللغة، قد تصرف فيها تقديما وتأخيرا، وكما أنّ ترتيب الوحدات لم يكن اعتباطا، فكذلك هي الحال مع إعادة الترتيب، ما كانت لتكون اعتباطية؛ ذلك أنّ إعادة تشكيل الجملة، قد

(1) - التوجيه اللغوي للقراءات السبع، عمرو خاطر عبد الغني وهدان، ص:307.

يصاحبه تغيُّر في المعنى، فـ« مواقع الكلمات من الجملة عظيمة المرونة، كما هي شديدة الحساسية وأي تغيير فيها يحدث تغييرات جوهرية في تشكيل المعاني وألوان الحس وظلال النفس»[2].

إن تخلي الكلمات عن مواقعها الأصلية وقَبولها، مواقع جديدة، إذعانا واستجابة لآلية التقديم والتأخير، لَيُعدُّ مظهرا من مظاهر ثراء اللغة، ومضمارا تتجلى فيه القدرة على الإبانة، وطاقات التعبير، وركوب صهوة الفصاحة والتّفنن فيها، فتتعدّد الأساليب، ويخرج التركيب وفق ملمح جمالي جديد[3].

وعلى العكس من ذلك فلو « كانت الكلمات غير قابلة للتغيير لكان ذلك عيبا في اللغة وعجزا قاهرا في اللسان»[4].

وإذا ما جئنا إلى القراءات الشاذة، نجد أنها قد عمدت إلى إعادة ترتيب عناصر بعض الآي، بوساطة خاصية التقديم والتأخير، فتنوعت الأساليب، وربما صاحب ذلك تغيُّر في نوع الجملة، وفي الوظائف النحوية المسندة إلى عناصرها، ومن العيِّنات التي وقع فيها التقديم والتأخير، نذكر:

❖ **" ويُشْهِدُ اللهَ " في قوله عز وجل:{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ }** [البقرة:204]، قراءة الجمهور:"ويُشْهِدُ اللهَ" فعل+ فاعل مضمر+ مفعول به. وهذا هو الأصل في ترتيب الجملة الفعلية، والمعنى:أنّ مدعي الإيمان بالله ورسوله ومحبة الرسول والدين، يجعل اللهَ شاهدا ، بأنْ يقول الله يعلم ، أنّ ما أدّعيه هو الحق ، وقولي هو الصدق، وأن ما في قلبه يوافق لسانه واعتقاده[5]، فهو« يُظهِر للناس الإسلام ، ويبارز الله بما في قلبه من الكفر والنفاق»[6].

وقرأ ابن عباس:[7]**{واللهُ يَشهَدُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ}** ؛ حيث قدم اسم الجلالة وأخَّر الفعل، وأضمر الفاعل.

إنّ إعادة تشكيل الجملة، قد نقلها من كونها جملة فعلية، إلى كونها جملة اسمية، فتغيّرت وظائف عناصرها، نحويا، فلفظ الجلالة على القراءة الأولى كان مفعولا به، وأصبح في القراءة الثانية مبتدأ، كما أن الفاعل ليس نفسه على القراءتين؛ فهو الضمير العائد على المنافق، في القراءة التي عليها جمهور القرّاء، وأمّا في القراءة الشاذة، فهو الضمير العائد على الله عز وجل، فشتان ما بين الإسنادَيْن؛ بين إسناد الفعل للمنافق، وإسناده للخالق؟!.

كما أنّ الفعل المضارع على القراءة الثانية، اختص بوظيفة ثانية؛ وهي كونه، خبرا، والتقدير:واللهُ شاهدٌ.

و لعل قراءة ابن محيصن وأبي حيوة[8]:(ويَشْهَدُ اللهُ) بإسناد الفعل إلى الله، عزّ وجل، تَعْضُدُ قراءة ابن عباس:(واللهُ يَشْهَدُ)، والمعنى على القراءة الثانية:أنّ الله يعلم ما في قلبه حقيقةً، وأنّه خلاف قوله، وأنّ ما أضمر من النِّفاق خلاف ما أظهر من الإيمان ومحبة الله والدين والرسول، فهو منافق كاذب[9].

وإذا جئنا إلى المعنى على القراءتين، نجد أن قراءة الجمهور أبلغ بالذنب وأدل عليه، فهي تدل على كونه « مرائيا وعلى أنه يُشهِد اللهَ باطلا على نفاقه وريائه»[10]أمّا القراءة الثانية« فلا تدل إلا على كونه كاذبا»[11].

---

(2) ـــــ المرجع نفسه،ص:308.

(3) ـــــ يُنظر: التوجيه اللغوي للقراءات السبع، ص:308 ، وأثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي ، محمد مسعود علي حسن عيسى،ص:257 ، و التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في سورة البقرة ، الطاهر قطبي،ص:173.

(4) ـــــ التوجيه اللغوي للقراءات السبع،ص:308.

(5) ـــــ يُنظر: المحرر الوجيز،279/1، وتفسير "الرّازي" ،215/5، وتفسير الطبري،576/3، وروح المعاني،95/2.

(6) ـــــ تفسير ابن كثير،269/2.

(7) ـــــ المحرر الوجيز،279/1، وروح المعاني،95/2.، ومعجم القراءات،279/1.

(8) ـــــ المحرر الوجيز،279/1، وتفسير الطبري،577/3، وتفسير "الرّازي" ،215/5.

(9) ـــــ يُنظر: المصادر نفسها، الأجزاء والصفحات نفسها.

(10) ـــــ تفسير "الرّازي" ،215/5.

(11) ـــــ نفسه،215/5.

فالتقديم والتأخير في عناصر الجملة، وثيق الصلة بالمعنى المراد إيصاله إلى المخاطب، وبالقصد من الرسالة، فرأينا المعنى المرسَل إلى المخاطب ،على قراءة الجمهور، هو النفاق والرياء والإشهاد بالباطل، أمّا على القراءة الثانية فهو:أنه كاذب في دعوى محبة الدين والرسول، وأنّ الذي في قلبه هو النفاق، ومن ثَمّ فهو يضمر خلاف ما يُظهر.

وعليه يُعَدُّ« الترتيب من العناصر التي تؤثر في المعنى داخل السياق إذ يعمد المتكلم، إلى ترتيب المورفيمات بطريقة مقصودة، كي يحقق معه المعنى والمراد»[12].

❖ " **نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا** " في قوله عز وجل:**{ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** [البقرة:106] قرأ الجمهور:(بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) والمعنى ــ كما يقول"السُّدّي"ــ:« نأت بخير من الذي نسخناه، أو مثل الذي تركناه»[13].

ويقول "ابن عطيّة" :« ولفظة خير في الآية صفة تفضيل، والمعنى: بأنفع لكم أيها الناس في عاجل، إن كانت الناسخة أخف، وفي آجل إن كانت أثقل، وبمثلها إن كانت مستوية»[14].

فما مِن حُكم آيةٍ، تمَّ تغييره أو تبديله، أو تُرك، إلا وأتى الله بخير منه، للمؤمنين حكما، أو مثل حكمها، خفة وثقلا وأجرا وثوابا[15].

وجاءت القراءة عن الأعمش وابن مسعود:[16](نَجِيءُ بِمِثْلِهَا أَوْ خَيْرٍ مِنْهَا)؛ بـ"الفعل":(نجيء) عوضا عن (نأتِ)، وبتقديم (مثلِها) وتأخير(خيرٍ منها).

فقد جاء الكلام وفق أسلوب آخر، وهذا علامة على التنوع في ضروب الكلام، وإشارة إلى سعة اللغة، والتفنن في الفصاحة والبيان[17].

وقد يكون المعنى، على القراءتين واحدا ، فهذا "سيبويه" حين يتحدث عن : "ضرب عبد الله زيدًا" و "ضرب زيدًا عبدُ الله" يقول:« .. إنما أردت به مقدمًا ما أردت مؤخرا»[18]، ولكن، قد يكون وراء التقديم والتأخير غرض، أو سر، أو لطيفة معنوية، وقد قال "سيبويه": « كأنهم [إنما] يقدّمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أَعْنَى، وإن كان جميعا يَهمّانِهم ويَعنيَانِهم»[19].

والملاحظ أنّنا مع قراءة الجمهور، نجد انتقالا من الخيريّة (بخير منها) والتي تحمل صفة التفضيل، إلى المثلية(أو مثلها) التي تحمل دلالة التساوي، والتماثل بين الآية الناسخة والمنسوخة، وعلى القراءة الثانية، نجد تدرجا من المثلية التي تفيد التساوي إلى الخيرية، التي هي ارتقاء وتفاضل.

ولعل ما وقع في هذه الآية من تقديم وتأخير، ينسحب عليه، ما ذكره "ابن الصائغ" من أنّ« من أسباب التقديم، الترقي من الأدنى إلى الأعلى، كقوله تعالى:**{أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا...}** [الأعراف:195] فبدأ بالأدنى لغرض الترقي، لأنّ اليدَ أشرفُ من الرِّجل، والعينَ أشرف

(12) ـــــ التوجيه اللغوي للقراءات السبع،ص:309.
(13) ـــــ تفسير ابن كثير،12/2.
(14) ـــــ المحرر الوجيز،194/1.
(15) ـــــ يُنظر: تفسير القرطبي،402/2.
(16) ـــــ المحرر الوجيز،193/1، ومعجم القراءات،173/1.
(17) ـــــ يُنظر: أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي،ص:207.
(18) ـــــ الكتاب،34/1.
(19) ـــــ نفسه،34/1.

من اليدِ، والسمعَ أشرفُ من البصر...ومنه كذلك التدّلي من الأعلى إلى الأدنى؛ كقوله تعالى: **{...مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا...}** [الكهف:49]»[20].

فكأنّنا على قراءة الجمهور:(**بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**) نجد تدلِّيًا من الأعلى إلى الأدنى، في حين على القراءة الشاذة:(**بِمِثْلِهَا أَوْ خَيْرٍ مِنْهَا**) نجد تَرَقِّيًا من الأدنى إلى الأعلى، هذا مع عدم إغفال الإعجاز البلاغي الذي يستفاد من القراءتين[21]."فالخيريّة" تحمل دلالة العموم والإطلاق، فهي كل ما فيه خير للعباد من نفع أو ثواب أو غيرهما ، وهنا مكمن الأفضلية والعلوّ، أمّا "المثلية" فهي خاصّة بالنفع والثواب فقط ، وهذا ما يجعلها أقلَّ درجةً من "الخيرية"؛ لشمولية "الخيرية" ومحدودية "المثلية"، والله أعلم.

يقول الألوسي:« والخيرية أعم من أن تكون في النفع فقط، وفي الثواب فقط، وفي كليهما، والمثلية خاصة بالثواب، على ما أشار إليه بعض المحققين»[22].

❖ " **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ** " في قوله تعالى: **{...فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَايَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ}**[آل عمران:07]،فقد قرأ الجمهور:(الراسخون في العلم يقولون) بتقديم(الراسخون) وتأخير(يقولون)،وجاءت القراءة عن ابن عباس وأبَي بن كعب شذوذا[23](ويقول الراسخون في العلم)، بتقديم الفعل المضارع:(يقولون) بعد حذف الواو والنون، وتأخير(الراسخون).

وتُوجَه القراءة، التي عليها الجمهور، من وجهين:[24]

ــ **الأوّل:** أنّ "الراسخون" مبتدأ خبره:الجملة الفعلية(يقولون)، وعلى هذا التخريج يكون الوقف على لفظ الجلالة (الله)، وتكون(الواو) التي قبل"الراسخون" للاستئناف، ويكون المعنى على هذا الوجه: لا يعلم تأويل "المتشابه"[25]إلا الله وحده، فقد استأثر بعلمه دون خلقه، فهو يعلمه على الكمال والاستيفاء[26].

وهنا يكون لفظ "التأويل" بمعنى:« حقيقة الشيء وما يؤول إليه...فحقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل»[27].

ويعضد هذا المعنى، الذي يتوجه إلى أنّ المتشابه، يعلمه الله، وأنّ الراسخين لا يعلمون تأويله، وهم يؤمنون به، القراءة الشاذة: (ويقول الراسخون في العلم) بتأخير"الراسخين" وتقديم الفعل المضارع، كما تعضده قراءة عبد الله بن مسعود:[28](إنْ تأويلُه إلاّ عند الله).

---

(20) ـــــ أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي،ص:257.

(21) ـــــ نفسه،ص:257.

(22) ـــــ روح المعاني،353/1، ويُنظر: تفسير حدائق الروح والريحان،195/2.

(23) ـــــ المحرر الوجيز،404/1 ، وتفسير الطبري،221/5، وتفسير ابن كثير،14/3، وروح المعاني،84/3.

(24) ـــــ يُنظر: المحرر الوجيز،402/1، وروح المعاني،83/3 ،84 ، وتفسير الطبري،218/5،وتفسير "الرّازي" ، 190/7،191، والتحرير والتنوير،168/3.

(25) ـــــ لقد قُسمت آيات القرآن إلى قسمين: بالنظر إلى دلالة الألفاظ على المعاني، هما: المحكم والمتشابه، فالمحكم: ما كان واضح دلالة، ولا يشوبه غموض، فهو قائم بنفسه، متضح المعنى لكل من يفهم كلام العرب: يستوي في علمه الراسخ وغيره: نحو: ﴿... لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾[الإخلاص:04] وكقوله: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ...﴾ (طه:82]. وأما المتشابه: فما كان خفيَ الدلالة غامضَها، محتملا للمعاني المتشابهة، ويُرجع فيه إلى غيره، يُرد إليه حتى يستبين ويتضح، نحو:﴿...إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً...﴾ (الزمر:53] يرجع فيه إلى قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ...﴾ [النساء: 48،116]، يُنظر: إعراب القرآن للنحاس،355/1 ، وتفسير التحرير والتنوير،153/3 وما بعدها، والمحرر الوجيز،403/1.

(26) ـــــ يُنظر: المحرر الوجيز،403/1، وتفسير حدائق الروح والريحان،185/4.

(27) ـــــ تفسير ابن كثير،14/3، 15.

(28) ـــــ المحرر الوجيز،404/1، وروح المعاني،84/3، وتفسير الطبري،221/5، وتفسير ابن كثير،14/3، وتفسير حدائق الروح والريحان،185/4، ومعجم القراءات،445/1.

يقول عروة بن الزبير:« إن الراسخين لا يعلمون تأويله ولكنهم يقولون:(آمنا به)»[29].

ــ **الثاني:**أنّ(الراسخون) فاعل معطوف على اسم الجلالة(الله)، وتقديم الكلام: وما يعلم تأويله إلا الله ويعلمه الراسخون أيضا، وهنا يكون الوقف على(والراسخون في العلم)،وتصبح"الواو" التي قبل(الراسخون)حرف عطف، أمّا(يقولون) فجملة فعلية في محل النصب حال، لـ(الراسخين)، والتقدير: أي:« يعلمون تأويله في هذه الحالة»[30].

ــ أو إنّ(يقولون) جملة فعلية، في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف،تقديره:هم[31]، والمعنى على هذا التخريج:أنّ الراسخين في العلم،يعلمون تأويل المتشابه،وعليه يكون« العلم بالمتشابه حاصلا عند الله تعالى،

Aucune source spécifiée dans le document actif.وعند الراسخين في العلم»[32]، يقول مجاهد:« والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به»[33].

وعلى هذا المعنى، فإن معنى "التأويل" ليس حقيقة الشيء وما يؤول إليه، وإنما:«التفسير والبيان والتعبير عن الشيء...فالوقف على(والراسخون في العلم) لأنهم يعلمون و يفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علما بحقائق الأشياء، على كنه ما هي عليه»[34].

هذا عن توجيه قراءة الجمهور، فماذا عن تخريج قراءة ابن عباس وأُبَيْ،والتي وقع فيها تقديم وتأخير؟.

إنّ(الراسخون) في القراءة الشاذة،فاعل للفعل(يقول)، وهذا الأخير فعل مضارع أُسندَ إلى(الراسخون) بعده.

ومما سبق يجمل الإشارة إلى بعض الحقائق وهي:

1) ــ إنّ تحديد الوظائف الإعرابية لعناصر الجملة، وثيق الصلة بالموضع الموقوف عليه، ذلك أنّ« لكل موضع من مواضع الوقف، وجها من وجوه الإعراب»[35].

2) ــ يتحدد المعنى بناء على الموضع الذي تم الوقف عليه؛ فالوقف« يؤثر في المعنى، وهذا بدوره يؤثر في الإعراب»[36].

وقد رأينا كيف أنّ الوقف على(الله) في قوله:(وما يَعلمُ تأويلَه إلا اللهُ)، يجعل علم المتشابه،قد استأثر به،وأن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويلَه الحقَّ، الذي يجب أن يُحمَلَ عليه، وإنما يؤمنون به فقط،في حين إن الوقف على(والراسخون في العلم)، يجعل تأويل المتشابه، يعلمه الله عز وجل، ويعلمه عباده الراسخون في العلم الذين« قد أتقنوا علمهم، ووعوه فحفظوه حفظا لا يَدخُلُهم في معرفتهم وعلمهم بما علموه شكٌ ولا لبس»[37].

ومن ثم فقد تيسر لهم على الكتاب وعرفوا « محامله وقام عندهم من الأدلة ما أرشدهم إلى مراد الله تعالى، بحيث لا تروج عليهم الشبهة»[38].

3) ــ إن التقديم والتأخير في عناصر الجملة، قد أدى إلى تغير الوظائف النحوية لتلك العناصر؛ "فالراسخون" قد انتقلت من الرفع على الابتداء، وخبره، جملة(يقولون) ومن العطف على الفاعلية، في قراءة العامة، إلى كونها فاعلا للفعل:(يقول)في القراءة الثانية:(ويقول الراسخون)،كما أنّ (يقولون)،قد انتقل من كونه جملة فعلية في موضع الرفع

(29) ـــــ المحرر الوجيز،402/1

(30) ـــــ التحرير والتنوير،168/3.

(31) ـــــ روح المعاني،83/3.

(32) ـــــ تفسير "الرّازي" ،190/7.

(33) ـــــ المحرر الوجيز،402/1.

(34) ـــــ تفسير ابن كثير،16/3.

(35) ـــــ ظاهرة الإعراب في النحو العربي، لـ: أحمد سليمان ياقوت، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ـــــ ط،1983 م، ص:210.

(36) ـــــ ظاهرة الإعراب في النحو العربي، ص:209.

(37) ـــــ تفسير الطبري،223/5.

(38) ـــــ التحرير والتنوير،164/3.

خبرا للمبتدأ:(الراسخون)، أو خبرا للمبتدأ المحذوف:"هم"، ومن كونه حالا لـــ(الراسخون)،إلى فعل مضارع لا يحتاج إلى تقدير أو محل إعرابي.

4) ــ أن القراءة الشاذة، لم تكن مع القراءة المشهورة على طَرَفَي نقيض، بل جاءت مؤيدة لها، وذلك فـــي حالـــة الوقـــف على:(وما يعلم تأويله إلا الله).

5) ــ إنّ القراءة الشاذة لا تطرح إشكالا، لأنّ علم المتشابه قد استأثر الله بعلمه، في حين إنّ القراءة المشهورة قد أوجـــدت خلافا بين المذاهب، كما أنّ المفسرين قد انقسموا قسمين: قسما يرجح الوجه الأول من الوقف، وآخرَ يرجح الوجه الثاني منه، ونجد أن "**الحنفية**" ترى أن المتشابه هو ما استأثر الله تعالى بعلمه، ومن ثَمَّ فالوقف علـــى(الله)، أمّـــا "**الشـــافعية**"، فترى أنّ الوقف على(والراسخون في العلم) ما دام المتشابه عندها هو ما لم يتضح معناه.[39]

❖ " **شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ** " في قوله تعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا... }** [الأنعام:112] قرأ الجمهور: (شياطين الإنس والجن) بتقديم(الإنس) وتـــأخير(الجـــن)، وقرأ الأعمش:[40](شياطين الجن والإنس) بتقديم لفظ (الجن) وتأخير،(الإنس)، وقد ذهب "القرطبـــي" إلـــى أنّ المعنـــى واحد[41]، في القراءتين، والمراد من شياطين الإنس والجن، مَرَدَتُهم؛ فالشيطان كل عات متمـــرد، وقيـــل: إنّ شـــياطين الإنس، هي الشياطين التي مع الإنس، أمّا شياطين الجن، فهي الشياطين التي مع الجن، فهما فريقان؛ فريق يُضلّ الإنسَ، وفريق يُضل الجنَّ، وقيل:إنّ شياطين الإنس والجن، هم: كفار الإنس، وكفار الجن[42].

وذهب "ابن عاشور" إلى أنّ:« شياطين الإنس، استعارة للناس الذين يفعلون فعل الشياطين، من مكـــر وخديعـــة وإضافة الشياطين إلى الإنس إضافة مجازية على تقدير(من) التبعيضية...وشياطـــين الجن حقيقة، والإضافة حقيقية لأنّ الجن منهم الشياطين، ومنهم غير الشياطين...»[43].

والمعنى على القراءتين« وكذلك جعلنا شياطين الإنس والجن أعداء لكل نبي»[44]أو أنّه« جعـــل مَـــرَدَةَ الإنـــس والجن لكل نبي عدوا يوحي بعضهم إلى بعض من القول ما يؤذيهم به»[45].

وهنا تجمل الإشارة إلى أنّ إعادة ترتيب عناصر الجملة، بوساطة التقديم والتأخير، وإن لم تغيّر المعنى، فإنه قـــد تحقق معها تنوع في التركيب، فنحن أمام جملتين؛ في الأولى، تَقدَّم لفظ الإنس، وتأخر لفظ الجن، وأمّا في الثانية، فتقـــدم هذا الأخير(الجن)، وتأخر لفظ الإنس.

وقد يكون التقديم للاهتمام بأمر المتقدِّم، أو هو نوع من إعادة تشكيل الجملة؛ بأنْ يكون الانتقال مما هو مجـــازي إلى ما هو حقيقي، ما دام لا يوجد في الإنس شياطين على الحقيقة، وإنّما أفعالهم هي أفعال الشياطين، في حين نجد مـــن الجن الشّياطين على الحقيقة، وهم الكفرة منهم.

وقد يكون إعادة الترتيب، بحسب درجة الأذية والعداوة، التي تلحق الأنبياء من الفئتين؛ فإن كانـــت الأذيـــة مـــن شياطين الإنس أو من كفرة الإنس، ومَنْ أفعالهم كأفعال الشياطين مكرا وخديعة، كان الابتداء والتدرج بهم، وصولا إلى أذية وعداوة شياطين الجن، وهذا ما جاء عليه ترتيب القراءة التي عليها الجمهور(شياطين الإنس والجن)، وقد قال مالك

---

(39) ـــــ يُنظر: روح المعاني، للألوسي،84/3.

(40) ـــــ الجامع لأحكام القرآن،67/4 ، ومعجم القراءات،528/2 ، وتفسير حدائق الروح والريحان،14/9.

(41) ـــــ الجامع لأحكام القرآن،67/4.

(42) ـــــ يُنظر: تفسير الطبري،497/9، وما بعدها، وتفسير الفخر الرّازي ،161/13،162، وروح المعاني، 05/5، والمحرر الوجيز،335/2، وتفسير ابن كثير،142/6 ، وحدائق الروح والريحان، 13/9.

(43) ـــــ التحرير والتنوير،09/8.

(44) ـــــ حدائق الروح والريحان،13/9.

(45) ـــــ تفسير الطبري،499/9.

بن دينار:« إن شيطان الإنس أشد عليّ من شيطان الجن، لأني إذا تعوذت من ذلك ذهب عني، وهذا يجرني إلى المعاصي عيانا»[46].

وإن كان المراد أنّ الأذية والعداوة من شياطين الجن أكبر وأشد، كان التدرج والابتداء من شياطين الجن، وصولا إلى شياطين الإنس، وهذا ما جاءت عليه قراءة الأعمش:(شياطين الجن والإنس)، والله أعلم.

كما أنّ إعادة ترتيب عناصر الجملة، لم تؤثّر في الوظيفة الإعرابية لعناصرها؛ فقد حافظ كل من لفظ "الجن" و "الإنس" على حركته الإعرابية، وهي الكسرة؛ وكلاهما مجرور بالإضافة إلى لفظ "شياطين" أو بالعطف على المضاف إلى لفظ "شياطين"، هذا باستثناء، أنّ تبادل المواقع، قد أوجد تبادلا للوظائف؛ فما كان، معطوفا، قد أصبح معطوفا عليه، و المعطوف عليه معطوفا، كما أنّ ما كان مضافا إليه، قد أصبح معطوفا على المضاف إليه، و المعطوف على المضاف إليه، قد أصبح مضافا إليه.

لا شك أن لجوء ناطق اللغة، إلى خاصية التقديم والتأخير، لا تعدم أن يكون من ورائها غرض، وإن خفي علينا، فإلى جانب تعدد أضرب الكلام، فلا شك أن هناك اهتماما بالمتقدم، أو أن هناك تدرجا وارتقاءَ من الأدنى إلى الأعلى أو من المهم إلى الأهم، أو أن هناك تدليا وانحدارا من الأعلى إلى الأدنى، أضف إلى ذلك إمكانية، الاهتمام بالرسالة في حد ذاتها، وذلك بالتأنّق والتفنن فيها، ما دام التقديم والتأخير، من شأنه إبراز قدرات ناطق اللغة فيتفنن فيها تفصحا وبلاغة وبيانا.

وفي الأخير إن ظاهرة التقديم والتأخير، ليست ترفا أو بذخا لغويا، قَصَدَ إليه المُرسِل أو المتكلم، بل إنّ لها غرضا إخباريا، يختلف عن العلاقات التركيبية والدلالية، ومن هنا لا مناص من إيلاء الاهتمام، إلى الركن الركين، أ, العنصر الثاني في المعادلة التواصلية ألا وهو المخاطَب أو المرسَل إليه، وما يريد المرسِل أن يخبره به، بناءً على ما يعتقده تجاه المتلقي، بخصوص المعلومة التي يريد تقديمها له، فيعمد إلى ترتيب المفردات بطريقة مخصوصة، لغرض مخصوص، مقيما ذلك على مفهومَيْ المُسَلَّمَة والإضافة، أو المُسَلَّمَة والفائدة، فما يتقدم هو المُسَلَّمَة أو ما يَعْرِفُه المتلقي، وما يتأخر هو الفائدة، أو الإضافة التي يستفيدها، فلا شك أنّ هناك فرقا بين قولنا:"مؤسس الدولة الأموية هو معاوية بن أبي سفيان"، وقولنا:"معاوية بن أبي سفيان هو مؤسس الدولة الأموية"؛ وكأنّ المرسِل، مع الجملة الأولى، يعتقد بأنّ المخاطَب يعرف أنّ الدولة الأموية قد تأسست، ولكنه لا يعرف مؤسسَها فَقَدَّمَ ما هو معروف لديه وهو المُسَلَّمَة، وأخّر ما هو مجهول، ليكون الإضافةَ أو الفائدة، في حين في الجملة الثانية، يعتقد المرسِل:أن المرسَلَ إليه، يجهل مَن هو معاوية بن أبي سفيان،فجاءت الإضافة بأنه هو من أسّس الدولة الأموية[47]...وعلى العموم يتوجب عدم إغفال الجانب التداولي، عند تحليل نماذج التقديم والتأخير، مع إيلاء«العناية بالمتقدِّم، لأنّ لتقديمه، أغراضا قَصَدَ المتكلم إليها معتمدا على العلاقة بينه وبين مخاطَبه وعلى فهمه في الموقف المعين»[48].

هذا وليس مكمن الاختلاف بين التقديم والتأخير في البنية التركيبية والدلالية، وإنّما في البنية الإخبارية كما يذهب إلى ذلك "سعيد بحيري"؛ فالمعلومة الأهم في البيان والإخبار والتي يتقاسم المخاطَب والمتكلم معرفتها هي التي تتقدّم[49].

وعليه فالتقديم« لا يؤثر في البنية الدلالية، وإنما يؤثر في البنية الإخبارية»[50]، وهي البنية التي « تحدد العلاقات القائمة بين مكونات الجملة حسب "المقام" كعلاقتي المحور(Topic) والبؤرة (Focus)»[51].

(46) ـــــ تفسير حدائق الروح والريحان،15/9.

(47) ـــــ يُنظر: مدخل إلى اللسانيات، محمد محمد يونس علي.دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط:01،2004م،ص:71 ،72.

(48) ـــــ التوجيه اللغوي للقراءات السبع،ص:314.

(49) ـــــ نفسه،ص:314.

(50) ـــــ نفسه،ص:315.

(51) ـــــ نفسه: ص:315.